

المحاضرة الثالثة: الغرض من علم التخرّيج وأهميته وفوائده:

أ- الغرض من علم التخرّيج

إننا إذ نبحث عن الغرض من علم التخرّيج نجيب في الحقيقة على سؤال في غاية الأهمية يوقفنا على أهمية هذا العلم الشريف، وهو: لماذا علم التخرّيج؟ فعلم التخرّيج لم ينشأ نوعاً من الترف العلمي، أو التخمّة المعرفية، بل إننا وكما رأينا نشأ نتيجة حاجة ملحة دعت إليه. وبالرجوع إلى تعريف التخرّيج الذي ذكرناه، يمكن أن نقول إن الغرض من هذا العلم ينحصر في الآتي:

- ربط الحديث بمصادره الأصلية ورؤده إليها.

- معرفة رتبة الحديث ودرجته.

ب- أهمية علم التخرّيج

وحديثنا هنا عن أهمية هذا العلم بشكل عام، وهو ما يبرز من خلال الأمور الآتية:

- التربية على المنهج العلمي القائم أساساً على العمل المنهجي المنظم، والأمانة العلمية.

- ربح الوقت بتيسير الوصول إلى مصادر الأحاديث، وهو الأمر الذي وفر على المشتغلين بالعلوم الشرعية أوقاتاً مهمة من أعمارهم، وهو ما عبر عنه الشيخ أحمد شاكّر حين قال لما صدر كتاب مفتاح كنوز السنة "بأن هذا الكتاب لو كان موجوداً عنده أيام اشتغاله بتخرّيج الأحاديث لوفر عليه ثلاثة أرباع عمره التي قضاه في تخرّيج الأحاديث من كتب السنة"¹.

- الاطلاع على المصادر والمراجع الحديثية ومعرفة مناهج أصحابها وطرق تأليفها.

- حفظ السنة والتثبت في المرويات.

- الوقوف على قوة بعض الآراء الفقهية بمعرفة قوة الأدلة التي استعان بها أصحابها، فكثيراً ما يتشبّث البعض بنصوص حديثية، فإذا فتشت فيها وجدتها موسومة بالضعف، وربما الضعف الشديد الذي لا ينجبر بحال من الأحوال، وقد علمت حكم العمل بالضعيف، وحدود وشروط هذا العمل.

1 - تخرّيج الأحاديث النبوية - دراسة تاريخية تأصيلية-، المرتضى الزين أحمد، بحث بمجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد: 11، بتاريخ: صفر 1429هـ-فبراير 2008م، ص: 200.

- معرفة الجهد الذي بذله السابقون لحفظ السنة وتيسير تداولها والاطلاع على مصادرها، فكتاب كتخفة الأطراف يقول صاحبه المزي رحمه الله (746 هـ): "وكان الشروع فيه يوم عاشوراء سنة ست وتسعين وست مائة، وختم في الثالث من ربيع الآخر سنة اثنين وعشرين وسبع مائة"²، أي أنه احتاج في تأليفه إلى ست وعشرين سنة، فأى همّة عالية هذه، وأي تضحية ؟

ج- فوائد التخرّيج وثمرته على الحديث المخرج³

لما كان الحديث عبارة عن سند ومتن، فإن ثمرة التخرّيج على الحديث المخرج قد تتعلق بالسند أو المتن أو هما معا.

1- فوائد التخرّيج المتعلقة بالسند

- الوقوف على أحوال الحديث الإسنادية من اتصال وانقطاع، ورفع ووقف، وتواتر وأحادية (عزيز أم مشهور أم غريب)، فتخرّيج الحديث يمكن صاحبه من جمع طرقه وأسانيده، ومن خلالها يعرف كل ذلك.
- تقوية الحديث ورفع من مرتبة إلى أخرى، فقد يكون الحديث ضعيفا يمكن جبره⁴، فيتضح بتخرّيجه تعدد طرقه وكثرة شواهد⁵ ومتابعاته⁶ التي ينجر بها حاله فيرتقي إلى درجة الحسن لذاته وهكذا...
- رفع تهمة التدليس عند الرواية بالنعنة، فالمدلس لا تقبل روايته ما لم يصرح بالسماع، وقد نحصل بتخرّيج الحديث على إسناد فيه تصريح المدلس بالسماع بلفظ "حدثنا" أو "أخبرنا" ونحوهما، فتزول عنه تهمة التدليس، "وهذا لأن التدليس ليس كذبا، وإنما هو إيهام بلفظ محتمل، فإذا زال الاحتمال كان الإسناد متصلا"⁷.
- زوال احتمال الاختلاط، فقد يروي أحد التلاميذ عن شيخ بعد اختلاطه، فيكون ذلك سببا لضعف الحديث، لكننا قد نجد متابعا أو شاهدا لهذا الحديث ممن روى عن الشيخ قبل اختلاطه، فيزول هذا الاحتمال.

2- تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي، 103/1.

3- راجع: مذكرة في علم التخرّيج وعلم الجرح والتعديل لعبد الكريم خلفي، ص: 19 وما بعدها.

4- وهذه قضية مهمة يجب الانتباه لها، فليس كل ضعيف ينجر، خاصة إذا كان ضعفه من جهة عدالة الراوي.

5- والشاهد في علم الحديث هو الحديث الذي يشارك فيه رواته رواية الحديث الفرد لفظا ومعنى أو معنى فقط مع الاختلاف في الصحابي.

6- والمتابع في علم الحديث هو الحديث الذي يشارك فيه رواته رواية الحديث الفرد لفظا ومعنى أو معنى فقط مع الاتحاد في الصحابي.

7- منهج النقد في علوم الحديث لنور الدين عتر، ص: 384.

(وحكم التدليس أنه مذموم على الإطلاق، حتى بالغ شعبة بن الحجاج - إمام أهل الجرح والتعديل - فقال: "لأن أزي أحب إلي من أن أدلس"، وقال أيضا: "التدليس أخو الكذب"، قال ابن الصلاح: "وهذا منه إفراط محمول على المبالغة في الزجر عنه والتنفير"، وذهب بعضهم إلى أن من عرف به صار مجروحا مردود الرواية مطلقا، وإن صرح بالسماع بعد ذلك، والصحيح الذي رجحه علماء الحديث، أن ما رواه المدلس بلفظ محتمل - لم يصرح فيه بالسماع - لا يقبل، بل يكون منقطعا، وما صرح فيه بالسماع يقبل، وهذا كله إذا كان الراوي ثقة في روايته كما هو معروف بداهة (ألفية السيوطي في علم الحديث بشرح أحمد محمد شاكر، ص: 20).

2- فوائد التخریج المتعلقة بالمتن

ويمكن إجمالها في الاستفادة مما تحمله الزيادات الواردة في طرق الحديث الأخرى من بيان لمعنى الحديث أو سبب وروده وقصته أو زمانه أو مكانه أو غير ذلك من الفوائد.

3- فوائد التخریج المتعلقة بالسند والمتن

- معرفة مصدر الحديث ودرجته قبولاً ورداً.

- معرفة المبهمة⁸ وتعيينه سواء في السند أو المتن، فقد يروي الراوي عن رجل مبهم، فيقول حدثني رجل أو شيخ مثلاً، وقد ترد مثل هذه العبارات المبهمة في المتن كذلك، فلا يُدرى من هذا الرجل. ووقوع الإبهام في السند أخطر طبعاً، فهو وانقطاع الإسناد سواء، لأنه لا يتوصل إلى معرفة هذا المبهمة والحكم عليه جرحاً أو تعديلاً. وربما نتوصل في بعض طرق التخریج إلى معرفة هذا المبهمة وتمييزه لأنه قد يرد باسمه في طرق أخرى.

- معرفة المهمل⁹ وتمييزه سواء في السند أو المتن، فإنه إذا وُجد في إسناد الحديث "عن سفيان" مثلاً، لا يُدرى المقصود من السفيانيين على وجه التحديد، الثوري أم ابن عيينة لاشتراكهما في الاسم، وقُلْ مثل هذا في غير ذلك من الأسماء التي لا تتميز عن بعضها إلا بنسب أو نسبة أو كنية أو لقب أو تلميذ انفرد بالرواية عنه أو غير ذلك من المميزات التي قد ترد في طريق آخر من طرق تخریج الحديث، فيتميز ذلك المهمل ويتضح المقصود منه.

- الاطلاع على علة خفية في سند الحديث أو متنه، أو العكس، فربما أدت طرق الحديث إلى رفع تلك العلة وزوالها.

- الوقوف على ما يلحق الحديث من زيادات أو إدراج¹⁰ أو تصحيف¹¹ وخطأ في النسخ سواء في سنده أو متنه.

مثال توضيحي نبرز من خلاله ثمار التخریج وفوائده

وهو مثال نسوقه للطلبة كما أورده صاحبه الشيخ عبد المهيدي بن عبد القادر مع فوائده:¹²

8 - والمبهمة في اصطلاح علم الحديث هو من عُبر عنه بلفظ عام كرجل أو امرأة أو شيخ ونحوه.

9 - والمهمل في اصطلاح علم الحديث هو الراوي الذي يذكر في الحديث باسم أو كنية أو لقب لا يميزه عن غيره، كمحمد وسفيان مثلاً.

10 - الإدراج في اصطلاح المحدثين ما ذكر في ضمن الحديث متصلاً به من غير فصل وليس منه. (منهج النقد لنور الدين عتر، ص: 439).

11 - التصحيف تغيير الكلمة إلى غير ما وردت عليه لفظاً ومعنى كتصحيف كلمة اجتجج إلى احتجج، وكلمة مراجع إلى مزاحم وهكذا... وقد قسم ابن حجر التصحيف إلى قسمين، فجعل ما كان فيه تغيير حرف أو حروف بتغيير النقط مع بقاء صورة الخط "تصحيفاً" كالأمثلة السابقة، وما كان فيه ذلك في الشكل "تحريفاً" كتصحيف "عاصم الأحوال" إلى "واصل الأحذب" أو "ستا من شوال" إلى "شيثا من شوال"، وهذا من ابن حجر اصطلاح جديد. (انظر مباحث في علوم الحديث للقطان، ص: 143-144).

12 - طرق تخریج حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، عبد المهيدي بن عبد القادر بن عبد الهادي، ص: 14 وما بعدها، وسألتزم بنقل التخریج الذي ذكره المصنف لأنه بنى عليه في إيراد الفوائد التي استخرجها.

(روى عن المغيرة بن شعبة قال: "وضأت النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، فمسح أعلى الخفين وأسلفهما".

هذا الحديث إذا استعملت معه طرق التخريج فسيوضح لي أنه أخرجه الترمذي وأبو داود وابن ماجه وغيرهم.

وسأخرجه من هذه الكتب الثلاثة، ثم أبين الفوائد التي حصلت عليها بالتخريج:

قال الترمذي رحمه الله تعالى:

حدثنا أبو الوليد الدمشقي، حدثنا الوليد بن مسلم، أخبرني ثور بن يزيد، عن رجاء بن حيوة، عن كاتب المغيرة، عن المغيرة بن شعبة "أن النبي صلى الله عليه وسلم مسح أعلى الخف وأسفله"¹³.

وقال أبو داود رحمه الله تعالى:

حدثنا موسى بن مروان ومحمود بن خالد الدمشقي المعنى، قال حدثنا الوليد - قال محمود - قال أخبرنا ثور بن يزيد، عن رجاء بن حيوة، عن كاتب المغيرة بن شعبة، عن المغيرة بن شعبة قال: "وضأت النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، فمسح على الخفين وأسلفهما"¹⁴.

وقال ابن ماجه رحمه الله تعالى:

حدثنا هشام بن عمار، ثنا الوليد بن مسلم، ثنا ثور بن يزيد عن رجاء بن حيوة، عن وراد - كاتب المغيرة بن شعبة - عن المغيرة بن شعبة "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح أعلى الخف وأسفله"¹⁵.

من هذا المثل تتضح لنا عدة فوائد للتخريج هي:

- بالتخريج أمكنني أن أعرف عددا ممن أخرج هذا الحديث من الأئمة، فعرفت أنه أخرجه الترمذي وأبو داود وابن ماجه.
- شيخا أبي داود روى الحديث عن "الوليد" هكذا مهملا، لكنه في رواية الترمذي وابن ماجه جاء مميزا بأنه "الوليد بن مسلم".

13 - أخرجه الترمذي في الطهارة، باب ما جاء في المسح على الخفين أعلاه وأسفله، (ح 97)، تحفة الأحوذى، 321/1-322. (تخرىج الشيخ عبد المهدي)

14 - أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة، باب كيف المسح، 280/1-282. (تخرىج الشيخ عبد المهدي).

15 - أخرجه ابن ماجه في الطهارة، باب مسح أعلى الخف وأسفله، 182/1-183. (تخرىج الشيخ عبد المهدي).

- كاتب المغيرة جاء مبهما في روايتي الترمذي وأبي داود، هكذا "كاتب المغيرة"، بينما جاء معيناً في رواية ابن ماجة، وأنه "ورّاد".

وقد حكم ابن حزم على كاتب المغيرة هذا بأنه مجهول، والسر في هذا أنه لم يتذكر رواية ابن ماجة هذه التي صرحت باسمه، و"ورّاد" هذا أخرج له الجماعة، وذكره ابن حبان في الثقات.

- بعد أن روى الترمذي هذا الحديث قال: هذا حديث معلول¹⁶ لم يسنده عن ثور بن يزيد غير الوليد بن مسلم، وسألت أبا زرعة ومحمد بن اسماعيل (يقصد البخاري) عن هذا الحديث فقالا: ليس بصحيح، لأن ابن المبارك روى هذا عن ثور، عن رجاء بن حيوة قال: حدثت عن كاتب المغيرة -مرسل- عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يذكر فيه المغيرة.

- بعد أن روى أبو داود هذا الحديث قال: وبلغني أنه لم يسمع ثور هذا الحديث من رجاء.

- بينت رواية أبي داود تاريخ الحكم، وأنه في كان في غزوة تبوك.

- وقع في نسخة أبي داود التي بين يدي¹⁷ "فمسح على الخفين وأسفلهما" - كما سقته في رواية أبي داود قبل ذلك - وبمراجعة سنن الترمذي وسنن وابن ماجة اتضح لي هذا الخطأ المطبعي، وأن الصواب "فمسح أعلى الخفين وأسفلهما".

ولو قارنت ما في هذه الكتب الثلاثة - سنن الترمذي وسنن أبي داود وسنن ابن ماجة - بما في سنن البيهقي، وراجعت

كتاب التلخيص الحبير لابن حجر لتبينت لك فوائد أكثر، لكنني أكتفي بهذا، ففيه بيان لعظيم فوائد التخریج) انتهى.

16 - ذكر أن هذا الحديث معلول من أربع جهات، قال ابن القيم: وفي هذه العلل نظر. قلت: وتخریجه وجمع طرقه يعين على كشف ذلك: فالعلة الأولى: أن الوليد بن مسلم مدلس، وقد صرح بالسماع، فزالت تهمة التدليس.

والثانية: أن الحديث مرسل، وقد ورد متصلاً.

والثالثة: أن ثور بن يزيد لم يسمعه من رجاء، وإنما قال: حدثت عن رجاء، فقد ورد بالتصريح بالتحديث، قال: حدثنا رجاء.

والرابعة: جهالة كاتب المغيرة، وقد ورد باسمه، وهو ورا، وإنما ترك في هذه الرواية لشهرته وعدم التباسه بغيره، وقد خرج له في الصحيحين.

انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، (كتاب الطهارة، باب 63، ح 164)، لأبي الطيب العظيم آبادي، ومعه شرح الإمام ابن القيم، ضبطها وصححها: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، 170/1 وما بعدها.

17 - قال الشيخ عبد المهيدي مبيناً مقصده: هي التي عليها شرح عون المعبود، نشر السلفية بالمدينة المنورة، والخطأ في المتن والشرح.

قلت: والحديث في النسخة التي عندي من سنن أبي داود: "فمسح أعلى الخفين وأسفلهما"، كتاب الطهارة، باب: كيف المسح، (ح: 165)، طبعة 1408هـ - 1988م، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 41/1.